

149026 - هل التصوير اليدوي والنحت لذوات الأرواح أعظم إثماً من الزنا والربا ؟

السؤال

أخبر الرسول أن المصورين أشد الناس عذاباً يوم القيامة ، فهل إذا رجحت سيئات شخص على حسناته بسينة واحدة وهي التصوير وشاء الله تعذيبه هل يكون ممن رجحت بآلاف السيئات من زنا وربا وغيره أم أن الحديث على وجه التهديد ؟ .

الإجابة المفصلة

المصورون الذين يرسمون ذوات الأرواح ، أو يصنعون التماثيل من أي مادة كانت ، هم المقصودون بأنهم أشد الناس عذاباً يوم القيامة . فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ) رواه البخاري (5606) ومسلم (2109) .

والمصوّر له حالان :

الأولى : تكون سينة التصوير أعظم من الربا والزنى ؛ وذلك بحسب نيته وفعله ، فمن قصد بتصويره مضاهاة خلق الله وأن تصويره أعظم من تصوير الله تعالى أو مثله ، أو أنه صوّر أصناماً لعبديها : كانت سيئته - والعياذ بالله - كفرةً مخرجاً من الملة ، وحينئذ لا يكون هناك إشكال في كونه (أشدّ الناس عذاباً) وأشد من الزاني والمرابي .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله :

“وأجاب الطبري بأن المراد هنا : مَنْ يَصوِّرُ ما يُعْبَد من دون الله وهو عارف بذلك قاصد له ، فإنه يكفر بذلك ، فلا يبعد أن يدخل مدخل آل فرعون ، وأما من لا يقصد ذلك : فإنه يكون عاصياً بتصويره فقط ” انتهى .

“فتح الباري” (10/383) .

وقال بدر الدين العيني رحمه الله :

“فإن صوَّرها لتُعبَد أو لمضاهاة خلق الله تعالى : فهو كافر قبيح الكفر ، فلذلك زيد في عذابه ” انتهى .

“عمدة القاري شرح صحيح البخاري” (12/39) .

وقال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله :

“والمضاهاة بخلق الله جل وعلا التي رُتب عليها أن يكون فاعلها أشد الناس عذاباً يوم القيامة عند كثير من العلماء : محمولة على

المضاهاة التي تكون كفرةً ؛ لأن المضاهاة في التصوير يكون كفرةً في حالتين :

الحالة الأولى : أن يصوّر صنماً ليعبد ، أو يصوّر إلهاً ليعبد ، كأن يصور لأهل البوذية صورة بوذا ، أو يصور للنصارى المسيح ، أو يصور أم المسيح ونحو ذلك ، فتصوير ما يعبد من دون الله جل وعلا مع العلم بأنه يُعبد : هذا كفر بالله جل وعلا ؛ لأنه صوّر وثناً ليعبد ، وهو يعلم أنه يُعبد ، فيكون شركاً أكبر ، وكفرةً بالله جل وعلا .

والحالة الثانية : أن يصوّر الصورة ويزعم أنها أحسن من خلق الله جل وعلا فيقول : هذه أحسن من خلق الله ، أو أنا فقط في خلقي وتصويري ما فعل الله جل وعلا ، فهذا كفر أكبر ، وشرك أكبر بالله جل جلاله .

وهذا هو الذي حمل عليه هذا الحديث ، وهو قوله : (أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذي يضاهنون بخلق الله) ، وأما المضاهاة بالتصوير عامة بما لا يخرجها من الملة ، كالذي يرسم بيده ، أو ينحت التمثال ، أو ينحت الصورة مما لا يدخل في الحالتين السابقتين : فهو كبيرة من الكبائر ، وصاحبها ملعون ومتوعد بالنار ” انتهى .
“التمهيد لشرح كتاب التوحيد” (ص 559 ، 560) .

الحالة الثانية : أن لا يقصد بالصورة مضاهاة خلق الله ، ولا أن تعبد تلك الصور ، فهذا لا شك قد فعل شيئاً محرماً ، ولكنه ليس هو المقصود بكونه أشد الناس عذاباً ، على سبيل العموم ، ولا يقال فيه : إنه أشد من الربا والزنا .
وقد أجاب العلماء عن إطلاق “الأشدية” في العذاب هنا ، بأجوبة ، منها :

- 1- أن المراد بالوعيد فيه من قصد المضاهاة ، أو أن تعبد صورته من دون الله ، كما سبق ذكره في الحالة الأولى .
- 2- ليس المقصود بالحديث إطلاق أنه أشد الناس على وجه العموم ، بل المراد أنه من جملة الذين يعذبون أشد العذاب ؛ فلا ينافي ذلك أن يشترك غيره معه في ذلك العذاب الأشد ، ويدل على ذلك ما رواه البخاري (6109) ومسلم (2107) : (إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُصَوِّرُونَ هَذِهِ الصُّورَ) فتحمل الرواية المطلقة بدون (من) ، على هذه الرواية ؛ ويدل على ذلك ما رواه أحمد (3858) :
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ قَتَلَهُ نَبِيٌّ ، أَوْ قَتَلَ نَبِيًّا ، وَإِمَامًا ضَلَالَةً ، وَمَمْتَلٌ مِنَ الْمَمْتَلِينَ) والممثل : المصور ، فدل هذا الحديث على اشتراكه مع آخرين في هذا العذاب الأشد .
- 3- أن المراد بإطلاق : (أشد الناس ..) من يشاركه في جريمته ؛ فيطلق المفاضلة بين كاذب وكاذب ، وزان وزان ، ومصور ومصور ، وهكذا بحسب حاله وعمله وقصده .

وينظر : “فتح الباري” للحافظ ابن حجر رحمه الله (10/383) ، “القول المفيد على كتاب التوحيد” ، للشيخ ابن عثيمين رحمه الله (2/444 ، 445) .

والخلاصة :

أن هناك حالات للمصور يكون فيها عذابه أشد من عذاب الزاني والمرابي ، وحالات أخرى لا يكون كذلك .
والله أعلم